الأنظار اللسانية

بين متن القطيعة وهامش الأسقاط

(لسانيات ، تراث ، قطيعة)

د. مؤيد آل صوينت
كلية الاداب / الجامعة المستنصرية

Moaid74@yahoo.com

Linguistic views between rejection aboard and Projection margin

Key words (Linguistics, heritage, break)

By

Moaid Al Suainet

College of Arts /Al-Mustansiriya University

Moaid74@yahoo.com

ملخص البحث

تمثل الكتابات النحوية العربية مجموعات معرفية لا يمكن الولوج إلى عالمها إلا بعد تحديد مكانها من مشهد العلوم في تأريخ المنجز المعرفي وروز علاقتها بمجموعات قولية أخرى ، وفي هذا الخصوص يلاحظ أن جلَّ مؤرخي النحو العربي انطلقوا من عدَّ هذا التوصيف مسلمة كأن النحو واحد في كل الأزمان وفي كل الأمكنة ، في حين أن كل نحو – كما يذهب باحث معاصر – ينطلق من طائفة من الاسئلة والاهتمامات وأن الأنحاء تختلف باعتبار نوع السؤال الذي تطرحه ((يمكن مثلاً أن يتساءل النحوي عن الابداع اللغوي وأن يقيم نحواً في إطار تساؤل عن الاختلافات اللغوية الاجتماعية وأن يقيمه في إطار البحث عن الأغراض))

Abstract

Arabic grammatical writings represent groups of knowledge cannot access to its world only after locate its place from the scene of sciences in the history of Cognitive achievement and test their relationship to other saying groups. In this regard, it is noted that the whole of the Arab historians as set off from counting this characterization if one as in all times and in all places, While all about - as he goes researcher contemporary - stems from a range of questions and concerns.

And that the different parts as the type of question posed by ((can for example is wondering about grammar and linguistic creativity resides about in the context of a question about language differences and social hosted in the search for a purpose

المقدمة

لعلَّ أهم ميزة طبعت المعرفة البشرية في العصر الحديث هو تخلصها من (المعرفة العادية) المتولدَّة عن الاستعمال المباشر للملكات الذهنية ، لفائدة (المعرفة النسقية) المتبلورة – عادة – من تقيد الباحث بحدود نظرية ينظر من طريقها في حقل من الموضوعات المتجانسة ، الأمر الذي يبدو متجلياً في مساهمة المنجز اللساني في دراسة اللغات الأنسانية ، عبر اتخاذه من اشتراطات المعرفة وشروط البحث طريقاً يتغشاه بغية الانتقال من المعرفة بالاعتياد إلى المعرفة بالنسق .

وقفت اللسانيات في مرحلة أولى من البحث على الظاهرة اللغوية ثم ذهبت في مرحلة ثانية إلى وصف هذه الظاهرة ، وانتقلت من الوصف في مرحلة ثالثة إلى طرح الفرضيات بغية تفسير الظاهرة وتحليلها ، وانتهت اخيراً ، إلى اقتراح النظريات وامتحان تماسكها الداخلي وكانت هذه المرحلة الرابعة . ويمكن القول : إن مساهمة فعالةلللسانيات في دراسة اللغات لم تكن فقط بسبب المنهج الذي اتبعته ، وإنما بسبب الأقاليم التي سجلت فيه تطورها الخاص سواء على مستوى الفهم في دراسة اللغة ، أم على مستوى التصور في نشوء علم جديد لدرس اللغة . فقد أخذت اللسانيات تتعامل مع الظاهرة اللغوية لا بوصفها ظاهرة لغوية في التاريخ ، ثبتتّها النصوص القديمة صيغةً وتركيباً ودلالة ووقفت شاهدة عليها ، ولكن بوصفها آنية تشدّ التاريخ إليها وتتجاوزه في الزمان والمكان إلى خارج النصوص . [١] الا مر الدي يتبدىبوضوح بوسم اللسانيات بأنها ((الدراسة العلمية للغة ، تمييزاً لها عن الجهود الفردية ، والخواطر ، والملاحظات التي يقوم بها المهتمون باللغة عبر العصور)) [٢] ونحن نعني بـ ((الدرس اللساني ، هنا المباحث والدراسات التي تتبنى مقولات علم اللسانيات **Modern Liniguistics** ومناهجه بالكيفية التي تطور بها

فـي الثقافـة الغربيـة فـي الربـع الأول مـن القـرن العشـرين ومـاتلا ذلـك ، إذ اصـبحت اللسانيات موَّجها نظرياً ، ورائداً لما عُرف بـ (الثـورة المنهجيـة) التـي شملت سـائر العلوم الأنسانية [٣] ، فهي العلم الذي يفحص اللغـة الانسـانية عبـر مسـارد علميـة تقـوم علـى الوصـف ومعاينــة الواقـع بعيـداً عـن الاحكـام المعياريـة المصـطبغة بالنزعـة التعليميـة . وكلمـة (علـم) الـواردة فـي التعريـف لهـا ضـرورة قصـوى لتمييـز هـذه الدراسة من غيرها ، لأنّ أوّل ما يطلب في الدراسة العلمية هو اتباع طريقة منهجية والانطلاق من أسس موضوعية يمكن روزها واثباتها .

واللسـانيات علـم انبثـق مـن الحـوض المعرفـي الغربـي ، إذ ((لا يمكننـا – نحـن العرب – معرفة هذا العلم الجديد إلا من خلال نافذة اللغات الانكليزيـة أو الفرنسية ذلك أنه للحق والتاريخ ، وإنصافاً للعلم والعلماء لا يمكننا إلا أن نعترف بأن اللسانيات الحديثة هي ملخص العقلية الغربية التي انتجتها)) [٤] وهذا ما جعل البعض يعتقد أن البحث اللساني لا يمتّ بصلة إلى الثقافة العربية واللغة العربية ، لأنه ((بحث أوجدته ظـروف اللغـات الاوربيـة التـي تختلـف فـي انتماءاتهـا وتكوينهـا . وبيئاتهـا وشـعوبها المتكلمة بها وتأريخها عن العربية وظروفها اختلافاً كبيراً ، يجعلنا في موقف رافض لكـل مـا يـراد مـن البـاحثين المعاصـرين العـرب أن يسـلكوه ، أو يتعـاملوا بـه مـع العربية))[٥] . يُعَّبر عن هذه النظرة الكثير من الكتابات العربية سواءٌ أكانت لسانية أم غير لسانية ، فاللسانيات علم غير نافع ، نظراً إلى أهدافه الاستعمارية التي يتوحد بها ويخدم غاياتها لأنَّ ((في نشأة الدراسة اللغوية في اوربا ما يدل على أن للاستعمار ، وحمـلات التبشير المسيحية دوراً رئيسـاً سـاعد علـى ظهورهـا وانتشـارها وتطورهـا للوصـول إلــى شـعوب العـالم التـيس يقصـدونها ، ويرجـون مـن ورائهـا السـيطرة والنفوذ))[٦] .

لايمكن فهم الواقع الراهن للسانيات في الثقافة العربية إلا بالاستقراء الدقيق للملابسات التي تحفّ بعملية الإلتقاء بين الثقافتين : الوافدة والمتقبلة ، لأن من شأن قنوات التقبل ان تشكل المعرفة على نحو ربما انتهى إلى صياغتها صياغة مفارقة لهيئة تشكلها الأولى ، لأن استثمارها في مقام جديد يطعمها من رواسب المقام بما يحقق فيها وجهاً ما من الجده، ثم إن قنوات تقبل المعرفة موصولة بالسنن المعرفية التي تترسخ في المجتمع فتفتح أفق تقبل بمقتضاه يعرض عن تلك المعرفة أو يُقبل عليها ، ويسارع إليها أو يحترز منها ، ومن ثمّ تتحدد بحكم الملابسات المسارب التي تبقى وحدها طيعة لتسلكها المعرفة الوافدة ، وعلاوة على كون اللسانيات معرفة غربية ، فإنها تدخل في حقل المعارف الحديثة ، فلم تسلم من دائرة الصراع بين القديم والحديث ، أو ما يعرف بالاصالة والمعاصرة ، قضية الفكر العربي الأولى والأساسية على حدَّ وصف محمد عابد الجابري [٧] . وترجع جذور هذا الصراع – كما هو معروف – إلى بداية عصر النهضة ، فقد كانت الدراسات اللغوية معنية بشكل أكبر بهذا الصراع ، لاعتبارات ترتبط بالدين واللغة والقومية ، فانخرط اللغويون في هذه الدائرة كلٌ من موقعه الخاص [٨] .

وجذّر الأرث اللغوي العربي – بسبب تشعبه وامتداده – نعقيد هذه المعادلة ، لكن علينا أن نبين – هنا – أن مشكلة التراث والحاضر العربي ترجع أساساً الى عدم إيجاد المراكمة ، فالجامعات – ومن ثم الدول – التي تستطيع أن تتقدم هي التي تستطيع أن تراكم ، وهذه ثغرة في ثقافتنا العربية ، فالعناية بتراثنا داخل أوساطنا هي من قبيل الإطراء والمجاملة وليست هناك دراسات عميقة تحاول قراءة هذا التراث وتوظيفه التوظيف المطلوب . وهذه العلاقة غالباً ما اخطىء فهمها وظن البعض أن الخطاب القديم هو الذي يمكن أن يستوعب الخطاب الحديث ، لا العكس ، بل إن كثيراً ممن خاضوا في هذا المشكل قالوا بأولوية التراث ، وشككوا في مشروعية الخطاب اللساني الحديث مما أدى إلى إبعاد مستمر للسانيات الحديثة في الجامعات ، ثم إن أصحاب هذا الموقف لا يحكمون على النتائج التي تتوصل إليها اللسانيات

العربية الحديثة لتقييمها ، بل يريدون فرض رأي مسبق وفرض آله قديمة ، بدعوى أولويتها ، وهو موقف بعيد عن النظرة العلمية (٩) ، لذا ، نجد الثقافة اللسانية العربية لم تتشرب بعد بالعلوم الحديثة ، إذا استثنينا بعض المجهودات الفردية التي تظل هامشاً في ما هو متداول ، فضلاً عن عدم قدرتها على إنجاز مشروع ممعقلن يملىء العلاقة الممكنة بين التراث اللغوي العربي والعلم اللساني الحديث ، ويتلافى التوفيق المتسرع والمبتكر بين ما ينخرط ضمن الموروث العربي وما يرد في العلم الحديث ، مما يؤدي إلى ابتغال الفكر اللغوي العربي والغربي على السواء .

ومن الممكن أن نرجع الفرق بين الفكر اللغوي القديم والفكر اللساني الحديث إلى أربعة محاط : ظروف الأنتاج والموضوع والهدف والمنهج .

أ- من حيث ظروف الأنتاج ، توافر للدرس اللساني من المحيط العلمي ومن الاستفادة من مختلف العلوم ما لم يتح للدرس اللغوي القديم وإن كان له أيضاً محيطه الفكري والثقافي الخاص به . فاللسانيات أفادت من الفلسفة والمنطق وعلم النفس والاكتشافات التكنولوجية كالحاسوب .

ب-من حيث موضوع الدراسة لم يجاوز الفكر القديم حدود اللغة الواحدة والتقعيد لهذه اللغة الواحدة (الهندية أو العربية أو الفرنسية مثلاً) في حين أن موضوع اللسانيات هو اللغات على اختلاف أنماطها أو بالأحرى الملكة اللسانية التي تتميز بها الكائنات البشرية .

ت- كان الهدف الأساسي من الدراسات اللغوية في القديم تعليم اللغة والحفاظ عليها من أن يشوبها لحن أهلها أو الواردين عليها ، في مقابل هذا ، تسعى اللسانيات ، عبر دراسة مختلف إنماط اللغات إلى إقامة (نحو كلي) يضطلع برصد خصائص اللسان الطبيعية بشكل عام.

ث- يقوم النحو التقليدي على أوصاف متفرقة لأبواب مختلفة في الغالب الأعمّ . هذا لا يعني بحال أن روح التنظير غير موجودة عند قدماء اللغويين ، إنما يعني أن منهج اللسانيات منهج مغاير يقوم على بناء نماذج خاصة لقواعد الاستنباط وقوانين الصورنة العلمية وقابلة لأن تُراز حاسوبياً (١٠) .

وخلاصة ما ننتهي إليه أن الثقافة العربية ظلـّت متشبثة بـالتراث اللغوي العربـي ومنشدّة إليه لظروف فرضتها مرحلة عصر النهضة ، ولم يَحـُل ذلك دون ظهـور مفكـر يبـين حـداثيين ، إلا أن الجهـود التـي بـذلت علـى هـذا المسـتوى (مسـتوى التحـديث) لـم تقـد الـى التغييـر المنشـود ، إذ ظلـت الثقافـة العربيـة فـي السـنوات اللاحقة وفيه للتراث اللغوي العربي ومنشدّة إليـه ، وبـذلك ظلـت البحـوث اللسـانية غريبة على ثقافتنا . وقد استمر الوضع على مـا هو عليه حتـى بعد الانفتـاح علـى اتجاهات البحث اللساني الحديث . وما هو جدير بالاشارة هنا أنّ (رد الفعل) هذا لم يكن من فئة معينة ، بل كـان ردّ فعل عمّ المتخصصين وغير المتخصصين ، فقد لاحظ إبراهيم مصطفى أن بعض المتخصصين في علم العربيـة ، و المهتمين بأمر هذه اللغة في بعض المجامع اللغوية ، ما زالوا ينظرون إلى هذا العلـم نظـرة الشك والارتياب ، لانه علم أجنبي لم ينبت في أرضنا ، أو هو لون من التغريب ، إذا مـا طبـق علـى لغتنـا ، يحـاول هـدمها والقضـاء عليهـا ، بنظريـات ومنـاهج لا تصـلح لهـا ، وإنمـا تصـلح هـذه النظريـات لغيـر العربيـة مـن اللغـات الأنسـانية الأخرى. (١١) وهو الوضع نفسه الذي عبّر عنـه أنيس فريحـه بقولـه ((مـا يؤسـف لـه، أن يظل هذا العلم الحديث مجهولاً عند عامة المتأدبين ، وموضـع اسـتهزاء عنـد عامة الناس، الذين ينظـرون إلـى اللغـة وعلمهـا أنهـا من الدراسـة الفارغـة التـي لا علاقـة لهـا بواقـع النــاس أو أنهــا مــن جملــة الكماليــات التــي تتلهــى بهــا العقــول الخاملـة))(١٢) . ويشـخص السـعران الواقـع نفسـه بـالقول : إن هـذه الدراسـة فـي البلاد العربيـة لا تـزال غريبـة علـى جمهـور المتخصصـين فـي المسـائل اللغويـة المنقطعين لهـا المنصرفين إليها ، أما جمهور المشتغلين بالدراسـات اللغويـة عنـدنا ، فأغلبهم يرفض النظر في هذا العلم الجديد ، أو لا يحـاول تفهمـه ، أو يعجـب أن ما في يده من علم قد يحل محله علم حادث وافد من (البلاد الغربيـة) ، وغيرهم ظنـاً بهذه الدراسـة الجديـدة وبـالقلة القائمـة بهـا مـن أبنـاء العربيـة يعدّ علـم اللغـة أو بعـض فروعـه كعلـم الأصـوات ترفـاً علميـاً لـم يـؤن الأوان بعـد للانغمـاس فيـه أو التطلع إليه (١٣) .

- ٣ -

تمثل الكتابات النحوية العربية مجموعات معرفية لا يمكن الولوج إلى عالمها إلا بعد تحديد مكانها من مشهد العلوم في تأريخ المنجز المعرفي وروز علاقتها بمجموعات قولية أخرى ، وفي هذا الخصوص يلاحظ أن جلَّ مؤرخي النحو العربي انطلقوا من عدَّ هذا التوصيف مسلمة كأن النحو واحد في كل الأزمان وفي كل الأمكنة ، في حين أن كل نحو – كما يذهب باحث معاصر – ينطلق من طائفة من الاسئلة والاهتمامات وأن الأنحاء تختلف باعتبار نوع السؤال الذي تطرحه ((يمكن مثلاً أن يتساءل النحوي عن الابداع اللغوي وأن يقيم نحواً في إطار تساؤل عن الاختلافات اللغوية الاجتماعية وأن يقيمه في إطار البحث عن الأغراض)) [١٤] .

وعلاقة النحو باللسانيات ذات طابع إشكالي ، فالحديث عن العوائق الموضوعية ينطلق من ((اعتبار اللسانيات علماً دخيلاً على الثقافة العربية ، ومن ثم بدأ الترويج لجملة من الاحكام المسبقة الزائفة والمغلوطة في مجملها والمتعلقة بطبيعة البحث اللساني واهدافه)) [١٥] فهل تسيء اللسانيات فعلاً إلى النحو العربي ؟ يكتنف القول بتعارض النحو واللسانيات الغموض والتسرع ، لانه يغفل عن أهمية تحديد المفاهيم وضبطها كما أنه يربط بشكل مباشر بين المفاهيم النحوية القديمة والمفاهيم اللسانية الحديثة ، والحال أن لكل مفهوم خصوصياته الابستمولوجية من شبكة تصورية عامة . وبذلك نلمس وجود فرق جوهري بين هوية النحو وهوية اللسانيات لاختلاف مناهجهما ، غير أن هذا الاختلاف لا ينفي التعاون والتكامل بينهما . [١٦]

ويجب أن نذكر هنا بخطل الاعتقاد السائد بأن علم اللسانيات العام ينحصر في النحو العام أو في النحو العربي مثلاً ، لأن هذا العلم الجديد يتفرع منه ما يربو

على الخمسين علماً لسانياً أو فرعاً له . والنحو بمعناه العام (الذي يشمل علم تراكيب الجمل ، وعلم الصرف وعلم الأصوات اللغوية ، أو بمعناه الخاص (الذي ينحصر في علم تراكيب الجملة)، إنما هو فرع من اللسانيات ، وبذا ، فليس من الصواب أن يشار إلى نحو لغة بعينها على أنه معادل للبحث اللساني، فاللسانيات في تفرعاتها وتفاصيلها قد تحتوي التراث العربي وغير العربي ، فهي لا تنحصر في لغة أو لغات بعينها ، بل يدرس ظاهرة كونية هي اللغة الأنسانية بجميع مظاهرها وتفاصيلها الداخلية والخارجية وتطبيقاتها العملية في المجالات الحيوية كافة ، وقد عبرّ باحث معاصر عن علاقة النحو ومساراته باللسانيات بالقول ((فيما يخص الثنائي : النحو اللسانيات ، والتراث اللغوي العربي ≠ اللسانيات فشكله بسيط جداً ، فالنحو التقليدي كله تعليمي فليس هو اللسانيات ، أما النحو في التراث اللغوي المتأخر كشروح الألفية فليس هو اللسانيات)) (١٧) .

ويجد المتتبع لاحياز المعرفة العربية الناصرة للسلطة النحوية في الثقافة الاكاديمية انطلاقها من مبدأ اساس هو : أن كل انفتاح على الدرس اللساني حكم بالضياع على النحو العربي ، للتعارض القائم بين مبادىء النحو ومبادىء اللسانيات والواقع ((أن النحو واللسانيات ليسا ضدين بالمعنى المبدئي للتضاد ، كيف والنحو نفسه منذ القديم مفهوم مزدوج إذ هو في الوقت نفسه جملة القواميس الخفيفة المتحركة للظاهرة اللغوية ، كما يعين عملية تفسير الأنسان لنظام اللغة بمعطيات المنطق من العلل والأسباب والقرائن ، ويتجلى هذا الفرق المفهومي في الصياغة المزدوجة تبعاً لقولك : نحو العربية أو نحو الفرنسية ... فانت تعني نظامها ، أو لقولك النحو العربي أو النحو الفرنسي فالمقصود عندئذ عملية استخراج النظام الداخلي في تلك اللغة)) (١٨) .

واللسانيات يمكن أن تشارك في تطوير قضايا النحو وتحديثها ، ومن ثمة لا تعارض بين اللسانيات والنحو ، فمن الأمور التي يمكن أن تقدمها اللسانيات للنحو:

- المبادىء العامة التي تقوم عليها البنيات الذهنية للغات الطبيعية ، أي الآليات المعرفية والأدراكية للغة .
- الارضية المنهجية لبناء الأنحاء ، وتبرير اختيارها من جهة صياغتها وأشكالها وعلاقتها باللغات انطلاقاً من الشروط الداخلية والخارجية اللازمة في الأنحاء مثل التعميم والبساطة والوضوح .
- تساعد (اللسانيات) في الكشف عن حقيقة البنيات النحوية بشكل أعم وأوضح وأبسط ، ومن ثم ، يمكن للنحو إعادة صياغة القواعد المعيارية صياغة تتحقق فيها درجات عالية من التعميم والشمول والبساطة والدقة والوضوح .
- فهم أعمق للغة ذاتها، مما يمكن من إعادة النظر والمراجعة في كثير من القضايا الموروثة [١٩] .

- ٤ -

يتصل واقع الدرس اللساني في الجامعات العراقية وما يثيره من تساءول بإشكالية الاستمرار ، وهي أحدى إشكاليتي اللسانيات البارزتين . إشكالية الاستمرار وإشكالية التطبيق ، فالاشكاليتان تأتلفان لتقديم الواقع اللساني ، فكان للخلط والتهافت وعدم وضوح الرؤية ، الأثر الأكبر في التطبيق ، مما جعله إشكالية أخرى عصفت به فضلاً عن مقايسات سطحية بين الوافد اللساني والتراث اللغوي ، ومحاولات غير منصفة لإخضاع المعطيات العربية للنظريات الجديدة ، أو مساع لردَّ كل جديد إلى نظيرة في القديم بمسارد وأنظار تتسم بالتعميم والبعد عن رؤية معرفية متسقة . ويمكن تصنيف البحث اللساني في الثقافة العراقية إلى ضربين :

١- البحث الفردي الذي يقوم به طلبة المراحل العليا في شكل إطاريح دكتوراه ، وهو يتسم بالتشتت رغم اهمية بعض الأبحاث .

٢- البحث المؤسسي الذي ينجز في إطار المجمع العلمي أو بعض المؤسسات والدوائر المرتبطة بالدولة .

وهذا النوع من من الأعمال تغلب عليه النزعة المحافظة عموماً . فضلاً عن البيروقراطية وأحيانا لاعتبارات السياسية ويلاحظ في الأعمال المؤسسية أنها تكاد تنحصر في قضايا المعجم والمصطلحات .

إن من اللافت للنظر أن الجامعة العراقية تأخرت كثيراً عن نظيراتها من الجامعات العربية، سواء في المشرق العربي أو المغرب ، في احتضان درس لساني منظم . يتعلق هذا الحكم بتأخر إقرار مقرر دراسي عن اللسانيات في الدراسات الجامعية الأولية إلى النصف الثاني من الثمانينيات ، وهوا لمقرر الذي حمل اسم (علم اللغة) مثلما يتعلق بتأخر تبني رسائل جامعية تنحو منحى لسانياً في الدراسات العليا إلى التسعينيات ، في الوقت الذي اشهدت فيه الجامعات المصرية والمغاربية والشامية في ما بين أواسط الخمسينيات وأواسط الستينيات – على اختلاف بينهما في ذلك – درساً لسانياً منظماً ، أمتد من تدريس اللسانيات في الدراسات الأولية ، الى تبني رسائل جامعية تعتمد اللسانيات منطلقاً لها ، بل فتح أقسام متخصصة بالعلوم اللسانية على غرار ما فعلت جامعة الجزائر ١٩٦٤م والجامعة التونسية في أوائل السبعينيات [٢٠] .

لقد اتسمت نظرة الجامعة العراقية إلى اللسانيات بسمتين أساسيتين ، وهما سمتان متداخلتان :

- الأداتية : فاللسانيات في الجامعة العراقية فهمت بكونها (أداة) لوصف اللغة العربية ، ولعل سبب هذا النمط من الفهم يرجع إلى أن الجامعة العراقية تلقت اللسانيات عبر (المرجعية المصرية) أي عبر الفهم الذي تمثل به اللسانيون المصريون السانيات العالمية ، بما ينطوي عليه من خصائص ومحددات ، وهذه المسألة اساسية جداً ، ذلك أنها ستحدد وضعية اللسانيات وطبيعتها داخل الجامعة العراقية ، فأثر المرجعية المصرية يبدأ بالاسم الذي اعتمدته أقسام اللغة العربية

للمقرر الدراسي الخاص باللسانيات ، وهو اسم (علم اللغة) ، إذ لا يعدو هذا التعبير أن يكون الاقتراح الذي تبناه اللسانيون المصريون لترجمة المصطلح الانكليزي **Linguistic** قبل أن يستبدل به تعبير (اللسانيات) في أواخر السبعينيات ، ويبلغ أثر المرجعية المصرية ذروته في أن مفردات هذا المقرر الدراسي صيغت على وفق المصنفات اللسانية المصرية .

ويجب أن على ننبه ثلاثة أمور تخص الطابع الادائي الذي وسم وضع اللسانيات في الجامعة العراقية .

الأول:-

-------- أن اللغويين العراقيين وضحوا المشروع المصري في سياق نظري ، آخر ومختلف ، هو سياق التيسير النحوي ، ذلك أن اللسانيين المصريين لم يقدموا منطلقاتهم النظرية بوضوح ، فبدى أن المفاهيم الجديدة التي قدموها إنما ترتبط بهم أنفسهم ، من غير عائدية نظرية أسبق .

الثاني :

---------- أن الأداتية لا ينبغي أن يفهم منها أن اللسانيين العراقيين قد اعتمدوا نماذج لسانية غربية محددة ، وصفية أو تفسيرية ، لإعادة وصف اللغة العربية ، من قبل النحو التحويلي والنحو الوظيفي ، وما إلى ذلك من أنحاء . فغياب النظرية وفهم اللسانيات عبر المرجعية المصرية هما اللذان منعا هذا الأمر ، فضلاً عن عدم الأطلاع الكافي على الأتجاهات اللسانيات الحديثة.

الثالث :

---------- أن اللسانيات قد فهمت ، في أحيان كثيرة في الجامعة العراقية بكونها (أداة) للتحليل الأدبي ، والأدب هو الاستعمال الخاص للغة ، لا (أداة) لتحليل الاستعمال العام للغة . وهذا في الحق ، وجه آخر لـ (الأداتية) قدّم اللسانيات بوصفها (منهجاً نقدياً) لا (علماً للغة) . ولعله متأتٍ من أن اللسانيات ، في أعقاب المشروع المصري ، قد قدمت بوصفها تفريعاً وعلماً مساعداً للمنهج البنيوي في النقد الادبي الذي شغل الساحة الثقافية العربية في السبعينيات والثمانينيات .

ـ الضدية : وهي السمة الثانية التي وسمت النظرة إلى اللسانيات في الجامعة العراقية، فـ (اللسانيات) لم تفهم بوصفها (معرفة محضة) ، بل بوصفهما (ضديداً) للمعرفة اللغوية العربية القديمة وقد بلورت هذه الضدية ، أحياناً (موقفاً عدائياً) من اللسانيات الغربية . بمعنى أن اللسانيات في الجامعة العراقية ظلت مرهونة بحساسية ثقافية عالية : أنها نتاج الحضارة الغربية ، وأن الغرض منها إبطال الأنموذج اللغوي العربي القديم ، ولعل هذا هو ما يفسر لمَ اعتنت الرسائل القليلة التي قدمتها الجامعة العراقية ، والتي يمكن أن نعدّها رسائل في اللسانيات ، ببيان تضمن التراث العربي مقولات تطابق مقولات اللسانيات الحديثة . ومن ثم تكون الثقافة العربية الاسلامية سابقة في (اللسانية) للثقافة الغربية . وعلى الرغم من أن هذه الحساسية الثقافية حكمت مجمل اللسانيات العربية الحديثة ، نجد أنها كانت في العراق عاملاً أساسياً في الحدّ من تطور الدرس اللساني داخل الجامعة ، في حين لم تمنع هذه الحساسية الثقافية من قيام درس لساني واضح وقوي في جامعات مصر والشام والمغرب العربي [٢١] .

ـ ٥ ـ

إن الدرس اللساني العراقي ، لم يقوَ على النمو والتطور خلال السنوات المنصرمة، في حين شهد الدرس اللساني في الجامعات المغاربية قفزات واسعة ، يدل على ذلك أن النتاج اللساني في الجامعة العراقية ظل نتاجاً محدوداً ، فمن بين عشرات الرسائل التي تقدمها أقسام اللغة العربية لا نستطيع أن نعدّ الا عدداً محدوداً من الرسائل التي يمكن توضيفها يكونها رسائل في (اللسانيات) ومعظم هذه الرسائل اتجه إلى دراسة التراث العربي ، النحوي أو اللغوي أو الكلامي أو البلاغي أو الفلسفي ، دراسة تهدف إلى كشف التصورات المطابقة لمقولات اللسانيات الحديثة ، فضلاً عن عدد محدود جداً من الرسائل اتجه إلى دراسة اللسانيات العربية الحديثة نفسها .

ويمكن إيجاز عوائق الدرس اللساني في الجامعة العراقية على النحو الآتي :

١- عدم عناية الجامعة العراقية ببناء كفاءات متخصصة في اللسانيات ، وإذا كانت البعثات الدراسية قد انحسرت بوضوح في ربع القرن الأخير ، فإن الجامعة العراقية لم تعمل ، جدياً ، على وضع خطة استراتيجية لتطوير مثل هذه الكفاءات .

٢- إن مفردات المقرر الدراسي الوحيد الخاص باللسانيات والمعتمد في الدراسات الأولية في أقسام اللغة العربية ، والذي يحمل اسم (علم اللغة) بعيدة عن أن تكون منهجاً ملائماً لتدريس اللسانيات ، ولذلك ، لم يستطع هذا المقرر الدراسي أن ينهض بنفسه ، بإعداد كفاءات متخصصة بها(.٢٢)

٣- طابع الوثوق والإطلاقية المتحصل لدى المشتغلين في الحقل الجامعي باكتمال القديم وعدم وجود مبرر للبحث في أقاليم المعرفة المعاصرة .

٤- إن معظم الكتب والأبحاث التي يتلمذ عليها أكثر المتخصصين كتبها رواد الدراسة اللسانية (المصريون) الذين عادوا من البعثة الدراسية في بريطانيا في أواسط الخمسينيات .

٥- الانغلاق على اتجاه معين ، الدرس التأريخي ، أو الوصفي ، وعدم الانفتاح على الاتجاهات الأخرى .

٦- الافتقار إلى لغة حية لدى الباحثين العراقيين في الدرس اللساني ، الأمر الذي لا يتيح لهم التواصل مع ما يكتب خارج العالم العربي .

٧- قطيعة راسخة – كانت ولا تزال – بين الباحثين في أقسام اللغة العربية ونظرائهم في أقسام اللغات الاجنبية لا سيمات الانجليزية ، الأمر الذي يؤدي إلى عدم تعشيق العمل الاكاديمي وتكامله.

٨- افتقار الجامعة إلى وعي معرفي متخصص يستشعر اهمية الدرس اللساني والآفاق المفتوحة داخل مساراته على مختلف الأصعدة .

٩- شيوع النزعة التعليمية في الجامعة العراقية ، وغياب إطار البحث العلمي الراكز على أسس معرفية متنورة .

١٠-عدم وجود البيئة الملائمة لدراسة اللسانيات فجل الجامعات في الدول المتقدمة تتوفر فيها شعب اللسانيات ، إما الجامعة العراقية فالمصطلح فيها ما زال يحبو .

- ❖ أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حافظ اسماعيلي علوي ،وليد أحمد العناتي،منشورات الاختلاف ،بيروت،ط،٢٠٠٩م
- ❖ إشكالية الفكر العربي المعاصر، محمد عابد الجابري ،المركز الثقافي العربي ٩٨٩م
- ❖ أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث،محمد عيد،ط٦،عالم الكتب،٩٧٩م
- ❖ تقدم اللسانيات في الأقطار العربية ،وقائع ندوة جهوية ،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط ،٩٩م
- ❖ علم اللغة بين القديم والحديث ،عبد الغفار حامد هلال،مصر،ط٣،٩٨٠
- ❖ قضايا ابستمولوجية في اللسانيات،حافظ اسماعيلي وا محمد الملاخ،منشورات الاختلاف بيروت ،ط،٢٠٠٩م
- ❖ قضايا أساسية
- ❖ اللسانيات في التفافة العربية المعاصرة،د. حافظ اسماعيلي علوي،دار الكتاب الجديد،بيروت،ط،٢٠٠٩م
- ❖ اللسانيات وأسسها المعرفية،عبد السلام المسدي،الدار الوطنية للنشر الجزائر ،تونس،٩٩٧م
- ❖ اللسانيات والجامعة العراقية(بحث) د حيدر سعيد ،لغة الضاد،منشورات المجمع العلمي العراقي،٢٠٠٣
- ❖ اللسانيات والدلالة ، د منذر عياشي ،مركز الإنماء الحضاري ،سوريا،ط٢،٢٠٠٧
- ❖ مباحث في علم اللغة واللسانيات د رشيد العبيدي ،دار الشؤون الثقافية،بغداد ٢٠٠٣م
- ❖ مدخل إلى اللسانيات،ايلوار رونالد،ترجمة بدرالدين القاسم،وزارة التعليم العالي،دمشق،٩٨٠
- ❖ نحو عربية ميسرة،نحو عربية ميسرة،دار الثقافة،بيروت،٩٥٥م
- ❖ النحو واللسانيات أية علاقة(بحث)،مصطفى غلفان،مجلة فكر و نقد،العدد٧٢،السنة٢٠٠٥م

١- ينظر: اللسانيات والدلالة

٢- مدخل إلى اللسانيات ٩

٣- ينظر : اللسانيات والجامعة العراقية (بحث) ٤٩٤ .

٤- قضايا اساسية ٢١

٥- ٣١

٦- علم اللغة بين القديم والحديث ٧٠ ، وينظر

٧- ينظر : الخطاب العربي المعاصر (٣٤)

٨- ينظر:

٩- ينظر: تقدم اللسانيات (٢٠)

١٠- ينظر : اسئلة اللغة اسئلة اللسانيات ٣٧- ٣٨

١١- ينظر: اصول النحو ١٤٥

١٢- نحو عربية ميسرة ٥٨ ، وينظر اللسانيات في الثقافة العربية ٥٠

١٣- ينظر ، علم اللغة (السعران) ٢١- ٢٢

١٤- ينظر : قضايا ابستمولوجية في اللسانيات ٢١٨

١٥- النحو واللسانيات اي علاقة (٩)

١٦- م. ن (٣)

١٧- اسئلة اللغة ٢١٦ ، ٨٥ .

١٨- اللسانيات وأسسها المعرفية ص ١٥

١٩- ينظر: النحو واللسانيات اي علاقة ص ٩

٢٠- ينظر: اللسانيات والجامعية العراقية (بحث) .٤٩٥

٢١- ينظر: م.ن ص ٥٠٣ ، ٥٠٦ .

٢٢- ينظر: م.ن ٤٩٩